

جامعة الموصل

كلية الآداب

القسم: التاريخ



عنوان المحاضرة: الاحداث التاريخية التي سبقت
قيام الدولة الاموية

المادة الدراسية: تاريخ الخلافة الراشدة والدولة
الاموية

المرحلة الدراسية:

مدرس المادة: أ.م.د. عدنان شعبان المشهداني

معركة صفين سنة ٣٧ هـ :

لم تكن وقعة الجمل على شدة هولها وفضاعة امرها الا مقدمة لما هو اشد منها هولاً وافظع امراً وهو الحرب في صفين بعد ان فشلت رسل علي بن ابي طالب عليه السلام في اقناع معاوية عن العدول عن رأيه باعتزال حكم ولاية الشام وتقديم المبايعة لعلي على اعتباره الخليفة الشرعي المنتخب خلفاً لعثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قتل في المدينة على ايدي غوغاء همج جاءوا من الامصار ، حيث رفض معاوية الاذعان لمطالب علي عليه السلام ، فتقدم علي نحو بلاد الشام على راس جيش قوامه تسعين الفا مقاتل اغلبهم من اهل الكوفة والبصرة بالاضافة الى اهل الحجاز ، بينما حشد معاوية جيشاً قوامه الثمانين الف مقاتل والتقى الطرفين في سهل صفين على ضفاف نهر الفرات من قرب بلاد الشام واشتبك الطرفان في معارك عنيفة دامت ثلاثة اشهر عجز كل طرف ان يزحزح خصمه عن مكانه واخيراً جاء يوم الحسم عندما اصدر علي اوامره بالهجوم الواسع لجيشه فحدثت معركة استمرت ثمانية ايام متتالية تمكن فيها اهل العراق من الحاق هزيمة منكرة بقوات اهل الشام حيث وصلت قطعات من جيش علي خيمة معاوية بن ابي سفيان وكاد معاوية ان يركب فرسه ويهرب من ارض المعركة لولا قيام عمرو بن العاص السهمي بمنعه من الهرب واثار عليه برفع المصاحف على اسنة الرماح واخذوا ينادون هذا كتاب الله بيننا وبينكم نرضى بما يفصل به كتاب الله ، وكانت هذه خدعة ذكية من عمرو بن العاص حيث تمكن عمرو بن العاص من زرع الفتنة في جيش اهل العراق وانقسموا على انفسهم قسم يرفض الهدنة ويطالب باستمرار القتال حتى النصر وكان هذا رأي الخليفة علي بن ابي طالب عليه السلام وقائده الشهير مالك بن الحارث النخعي المعروف بـ (الاشر) ، وقسم اخر يطالب بايقاف الحرب حالاً لان القوم قد انصاعوا الى الحق فلا بد من رفع السيف عنهم ، وكان على رأس هذه الفئة الاشعث بن قيس الكندي ومهما يكن من الامر فقد اسفرت هذه الحادثة على اجبار علي عليه السلام بقبول الهدنة بعد ان هدده ببقية قاداته بقتله أو تسليمه لمعاوية يقتص منه فيما اذا هو استمر في القتال ، فاصدر علي عليه السلام اوامره الى مالك بن الاشر بالتوقف عن القتال فرفض مالك الامتثال لاوامر علي واستمر يقاتل ، ومما قال لرسول علي : الان وبعد ان اصبح معاوية في مخالبي ، فاستمر يقاتل لكن الاشعث هدد علي بالقتل ان لم يصدر اوامر مشددة الى مالك بن الاشر يجبره على وقف القتال ، فارسل علي الى مالك ابنه الحسن فقال له : ان امير المؤمنين يأمرك بالكف عن القتال ذلك ان الفتنة قد وقعت في جيش علي .

فامتثل مالك للاوامر التي اصدرت له فوقف القتال فتحولت الهزيمة التي كادت ان تلحق باهل الشام الى نصر حيث اخذت قلوب الجنود المنهزمة من المعركة بالتجمع من جديد

وخف وطأ الهجوم الكاسح الذي شنه جيش علي وفي المقابل عمت الفتنة جيش علي فآخذوا الجيش يلوم بعضه بعضاً واشتبكوا بالايدي وأخذ كل فئة تشتم الفئة المناهضة لها فرجع علي وجيشه من الشام الى الكوفة وطول الطريق يشتم بعضهم البعض الآخر هذا يقول : ((داهنتم في حكم الله وخذلتم خليفكم)) وهذا يقول : انما اهل الشام اهلنا واخواننا في الدين فبأي حق استبحنا دمائهم ، وعندما دخل علي عليه السلام الكوفة لم يدخل معه معظم جيشه ، بل انقسم بعض منه ونزلوا حروراء وقالوا : لا نسكن مع الكفرة الذين داهنوا في حكم الله وبلغ تعدادهم اثني عشر الف مقاتل وهؤلاء هم الخوارج .

فكانت هذه هي البداية الاولى لظهور هذه الفئة المارقة عن الجماعة فاستطاع علي ان يقنع اغلبهم بالعدول عن رأيهم عندما ارسل اليهم عبد الله بن عباس عليه السلام واخذ يحاججهم فاقتنع عشرة الاف منهم بالرجوع بينما بقي الفين مصرين على رأيهم واخذوا يحاربون علي ويقتلون اتباعه مما اضطر علي عليه السلام الى محاربتهم في معركة النهروان الشهيرة الذي تمكن علي عليه السلام في هذه المعركة من القضاء على اغلبهم حيث لم يبق منهم الا سبعة نفر تمكنوا من الهرب من المعركة واصبح هؤلاء السبعة أو البقية الباقية نواة افكار الخوارج فيما بعد .

مشكلة التحكيم وما اسفر عنها من نتائج :

بعد وقف القتال بين الطرفين انتقلت الحرب الى المرحلة الثانية وهي مرحلة المفاوضات والاتفاق على طرق أو خطوات ترضي الطرفين المتنازعين .

فاتفق الطرفان على مكان محايد بينهما وهي منطقة اذرح وهي منطقة تتوسط بلاد الشام والعراق على مقربة من الانبار واتفقوا على ان يرسل كل طرف من الاطراف المتصارعة وفداً أو شخصاً يمثلته في المفاوضات أو التحكيم وكتب الفريقان بينهم عقد التحكيم صورته أو ما جاء فيه من شروط : ﴿ هذا ما تقاضى عليه علي بن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ، قاضى علي على اهل الكوفة ومن معهم من شيعتهم من المؤمنين والمسلمين ، وقاضى معاوية على اهل الشام ومن كان معهم من المؤمنين والمسلمين إنا ننزل عند حكم الله عز وجل وكتابه ولا يجمع بيننا غيره وان كان كتاب الله عز وجل بيننا من فاتحته الى خاتمته نحي ما احيا ونميت ما امات ، فما وجد الحكماء في كتاب الله عز وجل وهما ابو موسى الاشعري (عبد الله بن قيس) وعمرو بن العاص السهمي القرشي عملا به وما لم يجدا في كتاب الله عز وجل فالسنة العادلة الجامعة غير الفرقة واخذ الحكماء على معاوية وعلي ومن الجندين (العسكريين) العهود والمواثيق .. .

ارسل معاوية عمرو بن العاص ممثلاً عنه مع جماعة اهل الشام ، ولم يواجه معاوية أي مشكلة تذكر ، اما علي فانه اراد ان يرسل ابن عمه عبد الله بن عباس بن عبد المطلب)

حبر الامة) ممثلاً عنه الى المفاوضات لكن جيش علي وخاصة اليمانية منهم رفضوا هذه الخطوة وقالوا بل نرسل ابو موسى الاشعري وحجتهم في ذلك ان ابا موسى الاشعري وكان والي الكوفة منذ عهد عثمان بن عفان كان قد حذر اهل الكوفة من الانغماس في هذه الفتنة وقال لهم انها فتنة عمياء صماء ... فلم يقتنع اهل الكوفة بكلامه لكنهم بعد ان خاضوا غمار الحرب وجدوا ان ابا موسى الاشعري كان محقاً برأيه وانهم قد اسرعوا وتهوروا في الانغماس بهذه الفتنة فلا بد لهم من اختبار ابو موسى ممثلاً عنهم ليخلصهم من هذه الورطة التي اوقعوا انفسهم بها - ولكن علي عليه السلام رفض هذا العرض ، وقال : ان ابا موسى الاشعري ليس ثقة عندي فهو كان من المثبطين الناس عني فكيف امن جانبه لكن اهل اليمن لم يقتنعوا بقوله : واصرروا على ترشيح ابو موسى الاشعري اليماني الاصل وقالوا لعلي : والله لا يحكم في دماءنا مضرين يقصدون عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس على اعتبارهما من قريش احدي قبائل مضر العدنانية .

وكادت ان تقع الفتنة في جيش علي واخيراً امتثل علي لارادتهم ومما قال لهم اطيعوني ودعوني ارسل لهم ابن عباس فلا تخالفوني فقد خالفتموني في الاولى وحدث ما رأيتم يقصد قبولهم وقف القتال عند رفع المصاحف فلا تعصوني في هذه وتندمون مرة اخرى لكن القوم لم يقتنعوا في كلامه واصرروا على ابي موسى الاشعري فارسله علي مفاوضاً عنه بعد ان حذره من دهاء ومكر عمرو بن العاص .

اجتماع الحكيمين :

لما حل وقت الاجتماع في الموعد الذي قرروه انفاً ، بعث علي بن ابي طالب عليه السلام اربعمائة رجل عليهم شريح بن هاني الحارثي ومعهم ابن عباس يصلي بهم ويولي امورهم وابو موسى الاشعري معهم ، وبعث معاوية عمرو بن العاص في اربعمائة من اهل الشام فتوافقوا بدومة الجندل بأذرح وقد كشفت الايام مدى تفكك جبهة اهل العراق وعدم انضباطهم مقارنة مع اهل الشام الذي عرف عنهم الطاعة التامة لامرائهم .

حيث كان معاوية اذا كتب الى عمرو بن العاص جاء الرسول اليه ويرجع ولا يدري بما جاء به ولا بما رجع ولا يسأله اهل الشام بشيء ، اما اذا جاء رسول علي جاء اهل العراق الى ابن عباس فسألوه ما كتب اليك امير المؤمنين فان كتمهم ظنوا به الظنون ، فقللوا : ما نراه الا كتب بكذا وكذا ، فقال لهم ابن عباس بعد ان ضاق ذرعاً بهم : اما تعقلون اما ترون رسول معاوية يجيء ولا يعلم بما جاء ويرجع ولا يعلم بما رجع به ولا يسمع لهم صياح ولا لغط وانتم عندي كل يوم تظنون الظنون .

ومهما يكن من امر فقد اجتمع الحكمان فظهرت عبقرية عمرو بن العاص في المناورة السياسية وظهر قدرة فائقة في خداع خصمه ابو موسى الاشعري وهذا ما كان يخشاه علي رضي الله عنه من عمرو بن العاص فلا عجب فقد كان عمرو بن العاص يعد احد الدهاة الاربعة الذين عرفتهم العرب في ذلك العصر .

اخذ عمرو بن العاص يتباحث مع ابو موسى الاشعري في الطرق الكفيلة بانهاء هذه الفتنة التي تعرضت لها الامة فتكلم عمرو بن العاص وقال لابي موسى : السنت تعلم ان عثمان قتل مظلوماً ، قال ابو موسى : اشهد ، قال عمرو : اولست تعلم ان معاوية وآل معاوية اولياؤه ، قال : بلى ، قال عمرو : فان الله يقول : (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصوراً) فما يمنعك من معاوية ولي عثمان يا ابا موسى ؟ وبيته في قريش كما قد علمت فان تخوفت ان يقول الناس ولي معاوية وليست له سابقة فان لك بذلك حجة تقول : اني وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه ، الحسن السياسة الحسن التدبير وهو اخو أم حبيبة زوجة رسول الله ﷺ وقد صحبه فهو احد الصحابة ، فقال له ابو موسى : ياعمرؤ اتق الله فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا الشرف ليس على الشرف يولاه اهله ولو كان على الشرف لكان هذا الامر لآل ابرهة بن الصباح ، انما هو لاهل الدين والفضل مع اني لو كنت معطيه افضل قريش اعطيته علي بن ابي طالب ، واما قولك ان معاوية ولي دم عثمان فأوله هذا الامر فاني لم اكن لاوليه معاوية وادع المهاجرين الاولين ، واما تعريضك لي بالسلطان فو الله لو خرج لي من سلطانه كله ما وليته وما كنت لارثسي في حكم الله عز وجل ولكنك ان شئت احبينا اسم عمر بن الخطاب فقال عمرو : ان كنت تحب بيعة ابن عمر فما يمنعك من ابني وانت تعرف فضله وصلاحه ، فقال : ان ابنك رجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة .

وهذه المناقشة تدل على انهما قد اتفقا على خلع المتنازعين واختلفا فيمن يخلفهما وحينئذ اتفقا ان يكون الامر شورى بين الناس يولون من رضوا ولم يبق الا اعلام الناس بما اتفقا عليه فخرجا وكان عمرو يقدم ابا موسى في كل كلام فتقدم ابو موسى فحمد الله واثني عليه ، ثم قال : ايها الناس انا قد نظرنا في امر هذه الامة فلم نر اصلح لامرها ولا الم لشعتها من امر قد اجمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو ان نخلع علياً ومعاوية فاستقبلوا امركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الامر اهلاً ثم تنحى ، وفي رواية انه قال بعد ان قدمه عمرو بن العاص فخاف ان يغدر به ، فقال له تقدم انت ، فقال له عمرو : انت اكبر مني سناً واقدم مني اسلاماً فكيف اتقدم عليك فتقدم ابو موسى فصعد الى المكان المخصص له وقال : لقد اتفقنا انا وعمرو على ما فيه خلاص هذه الامة من الفتن التي تعرضت لها وانا قد قررنا ما يلي : اننا

خلعنا علي ومعاوية كما خلعت هذا الخاتم من يدي فاجمعوا امركم فنزل ، فصعد عمرو بن العاص ، فقال : لقد سمعتم ما قال ابو موسى الاشعري وانا بدوري اخلع علياً من الخلافة كما اخلع هذا الخاتم من يدي لكني اثبت معاوية بدلاً منه خليفة للمسلمين كما اثبت هذا الخاتم في يدي فنزل .

فصاح به ابو موسى يا فاسق مالك غدرت ما علي هذا تم الاتفاق وضربه بالسوط ، وقال له : انت كالكلب ان تتركه يلهث أو تحمل عليه يلهث ، فقال له عمرو : ((انت كالحمار يحمل اسفاراً)) ، فافترقا فرجع ابو موسى الى الكوفة وقد عزل خليفته المنتخب شرعاً في المدينة فوقع ضحية خداع عمرو بن العاص .

اما عمرو فرجع الى دمشق وهو يسلم على معاوية بالخلافة فتحول معاوية من والي متمرد معزول الى خليفة فاصبح نداً لعلي بن ابي طالب عليه السلام .

لم يكن علي بن ابي طالب ليرضى بهذا الحكم الذي تأكد انه مخالف للكتاب والسنة اللذين عهد الى الحكمين ان يحكما بهما ورضى به معاوية طبعاً لان اقل ما في الحكم ان ليس الامر لعلي وصار الامر للناس يولون من شاعوا وعنده جند عظيم يختارونه ولا يفضلون عليه احد فزادت اماله في ان يكون خليفة للمسلمين .

اما موقف علي من هذه النتيجة التي خرجت منها المفاوضات فقرر معاودة القتال ضد اهل الشام لكن جيش علي بدا يتقاعس عن القتال ، فلم يمتلك تلك المعنويات التي كانت عندهم في بدء القتال واخيراً انتهت نهاية علي عليه السلام عام ٤٠ هجرية عندما قتله احد الخوارج ويدعى عبد الرحمن بن ملجم .

نتائج التحكيم :

اسفر التحكيم عن عدة نتائج وامور منها :

- ١ - ان المفاوضات جعلوا علي ومعاوية نداً لبعضهم البعض في الوقت ان معاوية كان مجرد والي متمرد على السلطة المركزية .
- ٢ - ان المفاوضات (ابو موسى الاشعري ، وعمرو بن العاص) تجاوزوا صلاحياتهم بحيث اعطوا لانفسهم الحق في خلع الخليفة في الوقت انهما ارسلتا من اجل التفاوض حول اقناع معاوية بالامتنال لاوامر الخلافة .
- ٣ - من الامور التي تمخضت عنها المفاوضات هو ان معاوية تحول من والي متمرد الى خليفة للمسلمين فرجع عمرو بن العاص والوفد الذي معه وهم يلقون على معاوية تحية الخلافة ، في حين تحول الخليفة علي عليه السلام من خليفة الى رجل من عامة الناس بعد ان خلعه ممثله وايده بذلك ممثل معاوية .